

باحثة عراقية تستطلع المسكوت عنه في الرواية التاريخية

نادية هناوي في «السرد القابض على التاريخ» قراءات في اختيارات عربية وأجنبية



رواية التاريخ لها أنماط عديدة (لوحة للفنان ساسان نصرانية)

من ناحية المنابت والتمثلات، تبعه تطبيق تناول تشظي الذاكرة والإيهام بالواقع في هذه الرواية، والبغية تؤكد أن التاريخ ميدان رحب للتخييل وأن بإمكان الروائي وهو يضع البطل تحت طائلة السازم، إزالة الصدود تماما بين القول التاريخي والإقاول التخيلية منفلا بذلك من قبضة التاريخ.

إيستمولوجية أو ظاهرانية، ولكن المهتم في هذا التوجه هو خصوصية التاريخ بوصفه مفهوما لا علما حظي باهتمام النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات الأدب ولاسيما نقاد مرحلة ما بعد الحداثة. وتناولت التسديد في الرواية السير ذاتية التخيلية انطلاقا من مدخل نظري عن علاقة الرواية بالتاريخ

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

النوعية بين رواية التاريخ ورواية السيرة الذاتية ورواية التخييل الذاتي والرواية الميتاسردية؛ وهل يمكن أن تتقاسم هذه الأجناس معمارة محكي التاريخ؟

وأضافت أن «رواية التاريخ ليست نمطا سرديا يشتغل على الثيمات ويهتم بالمحتوى أكثر من المبنى مثل الروايات الواقعية التي تهتم بثيمات يعينها كالمراة أو العنف أو الريف أو العمال.. كما أنها ليست الروايات الواقعية التي تتدوتن في إطار جنوسي مثل الرواية النسوية أو إطار إقليمي مثل رواية الجنوب أو الرواية الخليجية، أو الروايات التي تتقوّل في شكل أيدولوجي مثل رواية الماركسية أو القومية أو تحمل بعدا نفسيا مثل رواية الغربية أو رواية العصاب أو تتقوّل في شكل طبقي أو فتوي مثل الرواية البرجوازية أو العمالية، أو

الروايات المتجنّدة بالعرقية الإثنية أو الأقلية الإثنولوجية مثل الرواية الكردية أو السريانية.. إلخ». وأكدت هناوي أن رواية التاريخ تتجاوز هذه التحديدات كلها، وتتعدى تصوراتها بمجموعها، والسبب أنها تتعالى على المعتاد في الكتابة السردية والمطروح من تقاناتها فضلا عن كونها رواية لا تحايز للشكل كما هو الحال في الرواية الميتا سردية، ولا تغلب المحتوى الموضوعي كالرواية التاريخية والروية الواقعية.

وحسب الناقدة الرواية التاريخية هي أجناسية سردية بغيتها الأساس الاشتغال الشكلي الموضوعي معا في إطار ما بعد حدائتي يتبنى طروحات فلسفية معيّنة، ويتضامن مبدئيا مع توجهات توقيضية عاملة على تدعيمها عمليا في شكل اشتغال معولم أو عولمي وبقصيدة الانفتاح والتداخل. والهدف المركزي في رأي الناقدة هو عدم التسليم للتاريخ وفي الوقت نفسه النظر بالحاضر الآني استشرافا للمستقبل القادم، وبما يضمن للإنسان وجودا حرا تاصيليا ليس فيه احتواء ولا إقصاء. وإذا كانت رواية الميتا سرد تتبنى الأجناس كما تشتغل على القارئ، فإن رواية التاريخ لا تتعاطى التاريخ إلا كشكل سردي ثقافي يشتغل على المثلما والهامش يهيم التجريب الفني، مثلما يعنيه اللعب على الأنساق بمقصدية تقويض الوعي الفكري وخلخلة الأطر المعرفية للتاريخ.

وجاء كتاب هناوي في ثمانية فصول قسّمت بين الرؤية النظرية والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

هناك الكثير من الروايات التي اشتغلت على التاريخ، فيها من التزمّت بنقله، وكأنها إعادة كتابة تاريخ، وأخرى اعتمدت التاريخ فقط كمادة تخيلية منه تنطلق إلى مجالات أوسع، الاختلافات كثيرة بين الروايات والأعمال السردية التي تتناول التاريخ، ومع انتشار هذه الأنماط من الكتابة، بات ضروريا رسم ملامح نظرية ومنهجية لها.

للتاريخ ولقاعدة النقدي الأدبي النظري والتطبيقي المزامن له والمهتم به، فإننا سنتمسك بجلاء أن التمثيل للتاريخ يتحدّد بخيارين أولهما يتجسد في انتقاء التوظيف التقليدي

في تمثيل محكي التاريخ سرديا وهو ما تعكسه الرواية التاريخية، والخيار الآخر يتجسد في الكيفيات التقانية التي تقلب هذا التمثيل وتؤدي وظيفة إسهابية عبر اللعب على المضمّن الذي سكت عنه التاريخ الرسمي وحاول تهميشه، وهو ما تعكسه رواية التاريخ.

وقالت إن تمثيلات النقاد العرب شهدت اختلافات كثيرة حول الروايات التي تستثمر الحدث التاريخي كمفاهيم وتقانات وتلك الروايات التي توظف التاريخ كوسيلة لا غاية، فضلا عن التباين في الرؤى إزاء الاصطلاح الأجناسي الذي يضع الحدود النظرية والأطر المنهجية والمواصفات الإجرائية لهذا النمط من التوظيف السري، ولا نكاد نجد النقاد العرب اتفقوا اصطلاحيا على تبني تسمية نظري لتعطي لهذا الاشتغال السري توصيفا يحظى بإجماع مبدئي على صلاحيته الأجناسية، ولعل السبب عائد إلى واحد من أمرين تفصلهما الناقدة. أما الأمر الأول فهو التباين في ترجمة المصطلح الغربي، فمثلا اعتمد المترجم حيدر الحاج إسماعيل في ترجمة اجترح ليندا هتشيون لهذا الجنس من السرد بـ«ميتا خرافة التاريخية» تماشيا مع اهتمامها بنظرية التاريخ في مرحلة ما بعد الحداثة.

والثاني اختلاف الاجتهاد التطبيقي في معايينة المنظور المفهوماتي وتطبيقه إجرائيا على السرد والتاريخ معا، وسبب التفاوت بين منطري السردية الحديثة في توصيف شعرية هذا الاتجاه من السرد وبين منطري سرديات ما بعد الحداثة.

تظهير وتطبيق

تساءلت هناوي كيف تصبح رواية التاريخ نصا مشفرا يستثمر الوقائع والتاريخ والسيرة وظليفا باتجاه إنتاج التاريخ؛ وما الحدود الأجناسية

محمد الحماصبي
كاتب مصري

يشغل كتاب «السرد القابض على التاريخ.. مباحرة في رواية التاريخ» للناقدة العراقية نادية هناوي بالتاريخ كسادة روائية يقصدها الأديب ليجول الحوادث والسير والشخصيات والوقائع إلى مدونات نصية سردية يستحضر فيها الواقعي، كما يغفل فيها التخيلي مستجمعا الوثائق ومستحفا الذاكرة ليلتقي الماضي بالحاضر على أرض واقع نصي، مقدما بذلك سادة أدبية ليس الهدف منها استعادة الماضي، أو استذكاره وإنما الهدف أبعد من ذلك بكثير.

هناك اختلاف بين الروايات التي تستثمر الحدث التاريخي كمفاهيم وتقنيات والأخرى التي توظف التاريخ كوسيلة لا غاية

وحرصت هناوي على انتقاء عيّنات روائية اشتغل أصحابها على التاريخ وتسريده جاعلين منه وسيلة لا بغية، ووسعت إطار التعيين فلم تجعله عربيا بحثا، وإنما اختارت روايات أجنبية معربة امتازت بوقفا لها. باهتمامها بتوظيف التاريخ كناقيل ثيمات فكرية وموضوع لبروتوكولات فنية.

توظيف سردي

من الأعمال التي اختارتها هناوي رواية «زمنة الدم» لجهااد مجيد، ورواية السيرة النبوية «ما هو اليتيم بعين الله» لمحمد رضا سرشار، «قواعد العشق الأربعون» لإليف شافاق، «موت صغير» لمحمد حسن علوان، «سمرقند» لأمين معلوف، «ابن سينا أو الطريق إلى أصفهان» لجيلبرت سينيوي، و«أحمر حانة» لحمد الربيعي، «المخطوط القرمزي» يوميات أبي عبد الله الصغير آخر ملوك الأندلس لأنطونيو غالا، وغيرها.

ورات هناوي أنه بالرجوع إلى المنجز الروائي العربي الموظف

هل يكون المنفى حافظا إبداعيا؟

لماذا الأدب هم لبنانيون أجبرتهم ظروف العيش، والمظالم المسطلة على مجتمعهم من قبل السلطات العثمانية على الفرار إلى المنافي ليعيشوا في أميركا الجنوبية، وأميركا الشمالية.

وقد ساعدتهم إقناهم للغة الإنجليزية على الاطلاع على التيارات الجديدة في النثر كما في الشعر لبيدعوا أعمالا مهمة كان لها تأثير على أجيال من الأدباء والشعراء شرقا وغربا.

ولعل الإقامة الطويلة في فرنسا بهدف الدراسة هي التي سمحت لطف حسين بان يزرع في الثقافة العربية بذور الحداثة والتطوير. وفي حين خيّر نجيب محفوظ البقاء في بلاده لبيدع أعماله التي حوّلت له الحصول على جائزة نوبل للأدب، خيّر توفيق الحكيم أن يسافر إلى باريس بهدف استكمال دراسته، لكنه تخلى عن ذلك ليضحي سنوات هناك متسكعا بين المكتبات والنادي والمتاحف والمسارح. وفي ما بعد سوف تسمح له تلك التجربة بكتابة العديد من الأعمال الروائية والمسرحية ليكون واحدا من أعمدة الأدب العربي الحديث. وأما الطيب صالح فقد أتحت المكتبة العربية براعته «موسم الهجرة إلى الشمال» التي تصوّر بطريقة أسرة ضياع مثقف سوداني في منفاه في لندن... أن نجد فنانين وكتابا وشعراء وروائيين. والآن تعددت المنافي العربية بسبب الأزمات السياسية والاجتماعية

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

لماذا الأدب هم لبنانيون أجبرتهم ظروف العيش، والمظالم المسطلة على مجتمعهم من قبل السلطات العثمانية على الفرار إلى المنافي ليعيشوا في أميركا الجنوبية، وأميركا الشمالية. وقد ساعدتهم إقناهم للغة الإنجليزية على الاطلاع على التيارات الجديدة في النثر كما في الشعر لبيدعوا أعمالا مهمة كان لها تأثير على أجيال من الأدباء والشعراء شرقا وغربا. ولعل الإقامة الطويلة في فرنسا بهدف الدراسة هي التي سمحت لطف حسين بان يزرع في الثقافة العربية بذور الحداثة والتطوير. وفي حين خيّر نجيب محفوظ البقاء في بلاده لبيدع أعماله التي حوّلت له الحصول على جائزة نوبل للأدب، خيّر توفيق الحكيم أن يسافر إلى باريس بهدف استكمال دراسته، لكنه تخلى عن ذلك ليضحي سنوات هناك متسكعا بين المكتبات والنادي والمتاحف والمسارح. وفي ما بعد سوف تسمح له تلك التجربة بكتابة العديد من الأعمال الروائية والمسرحية ليكون واحدا من أعمدة الأدب العربي الحديث. وأما الطيب صالح فقد أتحت المكتبة العربية براعته «موسم الهجرة إلى الشمال» التي تصوّر بطريقة أسرة ضياع مثقف سوداني في منفاه في لندن... أن نجد فنانين وكتابا وشعراء وروائيين. والآن تعددت المنافي العربية بسبب الأزمات السياسية والاجتماعية

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

والتطبيقية، وإن غلب التطبيق النقدي التخليص، حيث حلت أدبيات التعامل العالمي مع مفهوم التاريخ من ناحيتي النقد والفلسفة، لتقدم رؤى وتصورات حول التعامل السري مع المادة التاريخية، مؤكدة وجود اهتمام فكري ذي طابع جدلي تمحور حول فلسفة الزمن والوجود والتاريخ، وفي توجيه الرؤى وجهة علمية أو ميتافيزيقية أو

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

يحتل المنفى سواء كان قسريا أو اختياريا مكانة بارزة في أدب العالم القديمة، والحديثة على حد سواء.

وفي البعض من الحالات قد يكون المنفى مَهْلُكا ومدمرا. ورامبو قد يكون أبرز مثال على ذلك. فقد ظل لسنوات طويلة يتنمّر من «مسيحيته المتعفّنة»، ومن الثقافة الأوروبية التي كانت تبدو له شبيهة ببيت العنكبوت، متمنيا أن يطير بعيدا بحثا عن الخلاص. وذات يوم، طلق الشعر، وانطلق إلى إفريقيا ساعيا للعثور على النار التي «تدفئ عظامه الباردة». إلا أنه عاد من هناك وهو يحضّر ليموت في بلاده مية شنيعة.

لكن في حالات عديدة، يمكن أن يكون المنفى حافظا إبداعيا. وتشهد على ذلك القصائد العظيمة التي كتبها أوفيد في منفاه القاسي على البحر الأسود بعيدا عن أهله، وعن موطنه. ويزخر العصر الحديث بالعديد من المبدعين الكبار الذين اختاروا أو أجبروا على العيش في المنفى.

ولعل الكتاب والشعراء البريطانيين هم أبرز من خيّرُوا العيش في المنفى على العيش في بلادهم. مبدعين أعمالا هامة بعيدا عنها، لكن من دون إهمالها

مختلف جوانبها لا تزال غائبة.

المبدعون لهم علاقة خاصة بالمنفى (لوحة للفنان محمد خياطة)